الإبدال والإستبدال في القرآن الكريم

المدرس الدكتور
ثامر عبد المهدي حربي التميمي
الجامعة الإسلامية ـ الدراسات القرآنية واللغوية
Thaltamimi110@gmail.com

substitution and replacement In the Holy Quran

Lecturer Dr.
Thamer Abdul-Mahdi Harbi Al-Tamimi
Islamic University - Quranic and Linguistic Studies

الملخص:-

مـــن المعلـــوم ان فكـــرة الابـــدال والاستبدال التي وردة في القرآن الكريم لها أهميـة كـبيرة باعتبـار أنهـا تبلـور لمنظومـة متكاملة تقع نتائجها ضمن سنة التغيير التي هي محور قضية الابدال والاستبدال وعليه يعتبر موضوع التغيير والتبدّل من حال الى حال وخصوصاً في الأمم له مغزى كبير ومهم، باعتبار ما له من ارتباط وثيق بمصير الشعوب وتاريخها، ولسنّة الباري تعالى وقضية التغيير والتحول آليات وطرق من خلالها نكتشف بان يد السماء وصوتها مدوي عبر التاريخ ينذر ويرشد الجميع بأن ما تريده جاري ولو بعد حين. على أن هناك ثوابت في حركة هذا الكون تحكم المتغيرات التي ترتبط بالتاريخ والانسان، وبما ان نتائج حركة الابدال والاستبدال تحكم حركة الكون والأحياء، ولها قوانين وسنن ثابته بواسطتها يمكن معرفة اسرار كثيرة من الخفايا في هذا الكون والخلق، وكذلك تكشف لنا وجود عوامل وطرق يمكن الاستفادة منها في معرفة ما لا ندركه ولا نفهمه.

الكلمات المفتاحية: الابدال، التولي، التخلي، التغيير، التبدل، الاعراض، موعد آخر.

Abstract:-

It is known that the idea of substitution and substitution, which was mentioned in the Holy Qur'an, is of great importance, considering that it crystallizes an integrated system whose results fall within the year of change, which is the focus of the issue of substitution and replacement. From a close connection with the destiny of peoples and their history, and the Sunnah of God Almighty and the issue of change and transformation, mechanisms and methods through which we discover that the hand of heaven and its resounding voice throughout history warn and guide everyone that what you want is ongoing even after a while. However, there are constants in the movement of this universe that govern the variables that are related to history and man, and since the results of the movement of substitution and substitution govern the movement of the universe and living things, and it has fixed laws and norms through which it is possible to know many secrets from the mysteries in this universe and creation, as well as reveal to us the existence of factors and methods that can be used Including knowing what we do not realize and do not understand.

Keywords: takeover, Giveup, substitution, Change, change, Symptoms, other date.

المقدمة:

من المعلوم ان فكرة الابدال والاستبدال التي وردة في القرآن الكريم لها أهمية كبيرة باعتبار أنها تبلور لمنظومة متكاملة تقع نتائجها ضمن سنة التغيير التي هي محور قضية الابدال والاستبدال.

على أن هناك ثوابت في حركة هذا الكون تحكم المتغيرات التي ترتبط بالتاريخ والانسان، وبما ان نتائج حركة الابدال والاستبدال تحكم حركة الكون والأحياء، ولها قوانين وسنن ثابته بواسطتها يمكن معرفة اسرار كثيرة من الخفايا في هذا الكون والخلق، وكذلك تكشف لنا وجود عوامل وطرق يمكن الاستفادة منها في معرفة ما لا ندركه ولا نفهمه.

ومن الملاحظ نجد ارتباط هذا الأمر بحالة الإنسان الكامل وعلاقته بالمجتمع والتغير الذي فرضته السماء في كثير من آيات تحث على زرع سُنن كثيرة وجعلها ميزان للإبدال والتبديل وهذا ما نجده بالآية المباركة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

وكذلك الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾[2] والجدير ذكره من خلال ملاحظة الآيتان انها تعتبر الانسان هو العنصر الرئيسي بالتغيير وبالتالي تغيير المجتمع بشكل عام، وهذه المحورية للإنسان نجدها في كل الازمنة وعلى مرور التاريخ ونتائجها مرتبطة بالمجتمعات وتقدمها الحضاري.

أرجو من الله تعالى قبوله ومن القارئ الكريم العذر في التقصير عن ادراك كل المعاني المعرفية في هذا البحث داعيا الباري تعالى التوفيق لنا ولكم انه سميع الدعاء.

اهمية الموضوع:

يعتبر موضوع التغيير والتبدّل من حال الى حال وخصوصاً في الأمم له مغزى كبير ومهم، باعتبار ما له من ارتباط وثيق بمصير الشعوب وتاريخها، ولقد سنّة الباري تعالى لقضية التغيير والتحول آليات وطرق من خلالها نكتشف بان يد السماء وصوتها مدوي عبر التاريخ ينذر ويرشد الجميع بأن ما تريده جاري ولو بعد حين.

سبب اختيار الموضوع:

كان اختيار الموضوع وهدفه الاطلاع على قضية الابدال والاستبدال، وكيف طرحها القرآن الكريم وعالج هذا الامر، وما هي النماذج التي سردها القرآن للأمم السابقة وما جرى عليها.

اشكالية الموضوع:

هل الذي جرى على الامم السابقة من تبدل واستبدال وتغيير هو المقصود من الاستبدال والابدال الذي اشار القرآن الكريم اليه، وكيف نكتشف هذا الامر من خلال الآيات والروايات التي ذكرته.

خطة البحث:

سوف اتناول في البحث الابدال والاستبدال عدة مطالب، ففي المطلب الاول سوف نذكر تعريف الابدال والاستبدال والمطلب الثاني نتعرف على سنّة الاستبدال وفي المطلب الثالث نذكر حالات الاستبدال اما في المطلب الرابع نتعرض لذكر الاستبدال في القرآن الكريم اما المطلب الاخير وهو الخامس نتناول نماذج من الاستبدال في الأمم السابقة وبعدها الخاتمة ونذكر المصادر ونسرد الفهرست التفصيلي، وما هذا الجهد الإ رشحة في ميدان المعرفة القرآنية التي ألمحت وبيّنت حالات الابدال والاستبدال.

المطلب الأول

أولاً: تعريف الابدال والاستبدال لغة واصطلاحا :

عند التعرض لتعريف الابدال والاستبدال لابد من الرجوع الى معناهما بشكل دقيق في اللغة وعليه فالأبدال: هي جمع بَدَل: وهو شيء يُستعاض به عن شيء آخر من نوعه[٣]. تبدل الشيء وتبدل به وأستبدله وأستبدل به، كله: اتخذ منه بدلاً، وأبدل الشيء من الشيء وبدله، تخذه منه بدلاً وتبديل الشيء تغييره وإن لم تأت ببدل، الشيء بغيره وتبدله به، والاستبدال يأتي اذا اخذه مكانه والمبادلة التبادل والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله والأصل في الأبدال جعل الشيء مكان شيء آخر[٤].

أمّا التعريف اصطلاحاً: ففي مجمع البحرين: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا

منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر. و في القاموس: الأبدال قوم يقيم الله بهم الأرض و هم سبعون، أربعون بالشام و ثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس(٥).

اما الخطابي فقد تعرض لتعريف الاستبدال بانه عملية تتم داخل النص وهو يتم بتعويض عنصر مكان آخر، على أن الاستبدال يكون حاله كالإحالة، والتي هي علاقة اتساق إلا أنه يختلف بكونه تتم هذه العلاقة على المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات، يستخلص من كونه عملية داخل النص أنه نصي على أن معظم حالات الاستبدال النّصي قبلية أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدّم، وبناء عليه يعدّ الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر أتساق النصوص(٦).

علماً هناك رأي عند الراغب في مفرداته يصرح به حول الابدال وبأنه ابدال قوم صالحون يجعلهم الله مكان آخرين مثلهم ماضين و حقيقة امر ابدالهم بسبب تبدل أحوالهم الذميمة بأحوالهم الحميدة، و هم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ...﴾(٧).

ثانياً: انواع الاستبدال في اللغة:

١- الاستبدال الاسمي: استعمال ألفاظ معينة مكان أسماء وردت في موضع سابق من النص ومن ألفاظه واحد، واحدة، آخر، أخرى(٨).

٢- الاستبدال الفعلي: الفعل مصطلح عام يضمّ الفعل المعروف، وطائفة البنى التي تسلك في الجملة مسلك الافعال، فتقوم مقامه في الدلالة على الحدث، وتعمل فيما بعده كعمليّة فيما بعده، ويبقى الحدث فيها هو العنصر المولّد في الجملة، كما يكون في الفعل، مع كونها قد انمازت على الفعل من جهات أخرى منها، أنه لا تتم صيّاغتها (بناءها) على أبنية الفعل كما أنها لا تنشئ مجالا خاصا للفاعل أو للمسند إليها بعدها على نحو اللزوم بالطريقة التي يسلكها الفعل في ذلك وغير ذلك(٩).

٣- الاستبدال القولي: هو عملية استبدال لفظ مكان لفظ آخر بشرط أن يؤدي الثاني وظيفته في الكلام، والاستبدال بهذا المعنى أي تبديل اللفظ مقابل آخر وسيلة مهمة

للربط بين الكلام ولكن ضمن قيود منها يتم الاستبدال مع بقاء الوحدة البناء اللغوي بطريقة مشتركة معها في الدلالة[١٠].

المطلب الثاني

سنة الاستبدال

من المعلوم ان الباري تعالى جعل لهذا الكون والطبيعة والخلق قوانين ونُظُم دقيقة جداً، بهذه القوانين سرت عليها الكائنات المختلفة، وكانت طبيعتها تتوازن معها بشكل مستمر، وهذا ما نجده عبر تاريخ الامم والشعوب السابقة وكذلك بقصص الانبياء نجد هذه السنن الكونية قد جرت على كل حقبة زمنية وصارت كالحقائق التاريخية، وعليه تكون السنّة طبيعة كونية إلهية متى ما توفرت أحكامها وشرائطها تحققت، وهي جعل رباني في خلقه وعباده، والمتتبع لآيات القرآن سوف يجد فكرة واضحة وهي محور عقيدة التوحيد وهي أنَّ الله تعالى غني عن عباده وليس له حاجة عندهم، وإنما ابرز قدرته وأبان وجوده في خلقه (خلقت الخلق) لأجل معنى كبير وهدف سامي الا وهو معرفته، وعليها منح جوائز وعطايا وأفاض رحمته واجزل عطائه ولكن جعل ذلك بشروط وهي الانقياد والطاعة إليه والرغبة فيما عنده، وكذلك العذاب والخزي لمن عصاه وخالف أمره، وعليه فإذا وجدنا أمة مالوا عن طريق الحق وسلكوا طريق الباطل والضلال، بعد أن كانوا مطيعين وعلى نهج الهداية وملتزمين بما أمر الباري تعالى ومنتهين عن نواهيه، فسوف نرى جريرة فعلهم وتركهم الطاعة هو ان يبدلهم الله تعالى بخيرٍ منهم ومآلهم الزوال كما صرحت الآية المباركة بقولها ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[١١]. على هذا الكلام فان فكرة الاستبدال ترتكز على أن الإنسان خُلق بإرادة الله سبحانه، وبما أن الله تعالى حكيم وليس في امره عبث قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾[١٢]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[١٣].

وعليه الحكمة اقتضت أن يخلق الله تعالى الإنسان ويسخر له الموجودات ولابد من ورائها هدف وغاية: قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[١٤].

والمتتبع في القرآن سوف يجد بان أحد اهداف خلق الإنسان الذي عبر عنها باسم الخلافة والاستخلاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١٥).

وأخرى يعبر عنها بالعبادة، كما في قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١٦).

وثالثةً اشارة الى الوحدانية ونبذ غيره، وبأن الله تعالى المنشأ والموجد لهذ العالم قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(١٧).

والظاهر من هذه الآيات وغيرها تفيد أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لغرض وغايةً، وكان أرسال الانبياء والرسل كان لأمر في غاية الأهمية أقله الحفاظ على المسيرة الإنسانية التي رسمتها السماء، ووعد الباري تعالى أن ينصر رسله، وأن يحقق الغرض الذي من أجله أرسلهم ومن أجلها خلق الإنسان.

فمن أراد الخروج من دائرة الغرض والهدف ويجحد أو يعاند أو يأبى الانخراط فيما رسمت له السماء ملتفت وواعي بهذه الامور، فسوف تجري عليه سنة الاستبدال قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١٨).

فلسان الآية صريح وواضح تحذر من يرتد عن النهج القويم والإيمان الصادق وينحرف عن تعاليم انبياء الله ورسله، هنا سوف يستبدل الله تعالى من هو أحق منهم برحمته وعطائه وكرمه، خلق يحبون الله ويطيعونه بكل تعاليمه وما أوجبه عليهم رغبة في التقرب وعرفاناً منهم بمنّة وعطائه ولا يعصون له أمر أوجبه عليهم.

المطلب الثالث

حالات الاستبدال

هناك ثلاث حالات ذكرها القرآن الكريم، تشير الى معنى نستخلص منه معاني كثيرة واشارة بالغة الى حكمة الله تعالى في هذا الاستبدال:

١- التخلي عن الدين والرجوع عنه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٩).

٢- التخلف عن نصر الدين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠).

٣- البخل في مواساة الاخرين وعدم الإنفاق كما أمر المولى تعالى قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٢١).

فمن ترك وتخلف عن عقيدته ولم ينصر الدين باي شكل من الاشكال سوف تجري عليه عدالة السماء التي أقرت بان منح الباري تعالى تعطى لم يصونها ويحافظ عليها وبخلاف ذلك فأنه سوف لا يضر إلا نفسه.

قضية الاستبدال مهمة جدا لأجل ديمومة وجود الخير ودعمه واعلاء شأنه وفي المقابل دحض الشر ومن يتولاه ومن يعاند ويتجبر على أمر المولى سبحانه وتعالى، وهذه دلالة واضحة بأن السماء تنصر وترفع من شأن من طاعها وأمن بها وسار على نهجها قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢٢) ، وتخذل من تولى عنها وتستبدله بخير منه قال تعالى ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٢٣).

المطلب الرابع

الاستبدال في القرآن

جاءت لفظة الاستبدال في القرآن في موضعين:

الأول بقوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٤)، والثاني بقوله ﴿. . . وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (٢٥) .

نرى الاستبدال جاء في السورتين في موضع جواب شرط لفعل شرط نتيجته التي يتوخى منها الفيض والعطاء والخير الذي يرجى منه، ففي سورة التوبة نجد جواب الشرط بأن الاستبدال قائم مالم يكن هناك نفر وهو التغيير الكامل في حركة التاريخ وفي سورة محمد جاء الاستبدال بسبب ضياع ركن مهم في تكوين المجتمع واستقراره وعدم الاتزان بين افراد هذا المجتمع لأن المواساة والعطاء يحقق الترابط والألفة بين الناس ويكون مصداق الدعوة الصادقة الى الله تعالى، وإلا يستبدلكم بغيركم بما يحقق الغاية الهدف المنشود.

أولاً: معنى التولي في الآيتين من سورتي (التوبة ومحمد):

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢٦) قال تعالى ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾(٢٧).

لفظة التولي كما ذكرت في سورتي التوبة ومحمد لها معاني واشكال تتناسب مع المعنى الموجود في الجملة وهنا لا بد من معرفة لفظة (تتولوا) والذي جاء جذرها اللغوي (ولي) كما هي عند الراغب الاصفهاني إذ قال: ولى: الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية تولى الامر، وقيل الولاية والولاية(٢٨).

وتأتي بمعنى الولي والمولى يستعملان في كليهما واحد، وتطلق على المؤمن بمعنى هو ولى الله عز وجل ولم يرد مولاه، فيقال إن الله تعالى هو ولى المؤمنين ومولاهم، لقوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢٩) وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(٣٠) وقوله تعالى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٣١) وقوله تعالى ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس . . .﴾(٣٢).

والوالي يأتي بمعنى النفي عن غيره وعدم اثباتها بين المؤمنين والكافرين لقوله تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[٣٣] وكذلك نفى الله تعالى الولاية عن غيره لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣٤] ونرى القرآن الكريم يتعرض لذكر الموالاة بين الكافرين والشياطين في عالم الدنيا ونفى بينهم الموالاة في الآخرة، فقد ذكر هذه الموالاة في الدنيا لقوله تعالى قال الله تعالى ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٣٥] ونرى النفي المطلق لهذه الموالاة في عالم الآخرة لقوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾[٣٦] وقوله تعالى ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[٣٧].

ويقال ولى الشئ الشئ وأوليت الشئ شيئا آخر أي جعلته يليه، والولاء في العتق هو ما يورث به ونهى عن بيع الولاء وعن هبته، والموالاة بين الشيئين المتابعة[٣٨].

ثانياً: ركن الاستبدال هو التولي:

لقد ذكرت المعاجم اللغوية بان لفظة الولي ومشتقاتها جاء ذكرها قرابة ٨٠ مرة، ضم بعضها الاشارة الى لفظة الاستبدال حوالي ٦٤ مرة، علما المراد بالتحديد للفظة الاستبدال الاشارة الى استبدال والأقوام والنظم والأمم وكانت الدلالة الى أركان التولي (فعل الشرط) لما تؤدي الى حالة الاستبدال (جواب الشرط).

- وعليه جاءت لفظة الولي بمعنى الإعراض عن الالتزام بعهد الله ومواثيقه كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣٩].

- وكذلك جاء ت بمعنى الإعراض عن الإيمان والهدى قوله تعالى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٤٠).

- ونجدها تأتي بمعنى الإعراض عن الإسلام وتعاليمه: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤١). وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢).

- وهناك معنى لها وهو الإعراض عن سماع كلام الله: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ* إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ* وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٤٣).

- وجاءت بمعنى الإعراض عن الاستجابة إلى التوبة بقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٤٤).

- وكذلك الإعراض عن الآخرة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٤٥).

- وجاءت لفظة الولي بمعنى تغيير ما جاءت به الكتب والرسل والمواثيق واستبدالها بما يحقق رغباتهم ونزواتهم الخاصة قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٦).

- وكذلك هناك معنى لاستبدال الفساد مكان الصلاح والخير وهو حينما تثبت الحجة وتعرض القصص وتتضح الرؤيا تكون ملزمة التصديق والاذعان والعمل بها، فنكرانها استبدال هذه المنافع بغيرها من المفاسد قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٧).

- وهنا معنى واضح الدلالة والمعنى للاستبدال وهو لزوم طاعة المولى واتباع اوامره ومنها طاعة ما جاءت به رسله، فعدم الطاعة والاصرار على اتباع الشيطان واعوانه سوف يؤدي الى سوء العاقبة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٤٨).

- وهنا معنى كذلك للاستبدال وهو حينما تتولى الامة أو الانسان الظالم أو الكافر ويتخذوهم اولياء من دون الله تعالى فهذا مصداق واضح لتغير نعّم الله تعالى واستبدالها بأدنى منها قال تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٤٩).

المطلب الخامس

نماذج من استبدال الأمم السابقة بغيرهم

أولاً: من القرآن الكريم:

لو تتبعنا ما جرى في الاقوام السابقة والامم السالفة كقوم لوط وصالح وثمود وشعيب،

ونرى نتيجة افعالهم وما اقترفوها كانت هي الحاكمة عليهم بسوء المصير وهلاكهم قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٥٠) .

ومما ذكر للاستبدال هو رفع القوة والغلبة من أمة الى أجل وموعد آخر ولكن هم بعين الله تعالى سوف يتبدل حالهم ويغلبون قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾(٥١).

وكذلك من سنة الاستبدال هي رفع شأن أمة كانت مغلوبة على أمة كانت متسلطة متجبرة عاثت في الأرض والعباد الفساد قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(٥٢).

ومن الواضح بان سنة التمكين التي سوف تقع ما هي إلا الوجه المقابل لسنة الاستبدال، فحينما يقع أمر باستبدال أمة لأي سبب سواء مخالفتهم شريعة الباري تعالى أم تحريفهم لأحكامه أو نشر الفساد، فلابد وأن يكون بالمقابل تمكين أمة تهيئة لها الظروف واستحقت أن تكون البديل قال تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾(٥٣).

وهناك مصاديق كثيرة للاستبدال وأقربها ما جرى على هذه الامة بعد رسول الله ﷺ وما فعلوا من مخالفات كبيرة منها تركهم الخليفة المعين بأمر السماء مع اشارات كثيرة من الرسول ص حوله، ومنها ما جرى على ابنته مع ما ذكره بحقها ومقامها، ومنها ما جرى على اولاده الحسن والحسين عليهما السلام، وغير ذلك من المخالفات الصريحة للنص القرآني الواضح ولقول السنة الشريفة، وهذه الأمر أدى الى ضياعهم وتشتتهم، وادى كذلك الى الاستهانة والتنكيل بهم وهذا مما عملت ايديهم فساء حالهم وبدت البغضاء بينهم والصراعات المتتالية عليهم الى يومنا، والمراد بالاستبدال هنا هو الهلاك والضعف وسلب العزة والرفعة والمنعة وترك أمرهم لغيرهم من الظلمة والكفار والمفسدين، وهذا خلاف ما لو اطاعوا والتزموا لاستحقوا عطاء الباري وكرمه، ولارتقوا منازل عظيمة ووجدوا رضوان الله تعالى حاضر

امامهم لأنهم سوف يحملون راية الاصلاح ونشر العدل واقامة حدود السماء وتعاليمها، وهناك آيات كثيرة ذكرت هذه المعاني بشكل دقيق منها، كقوله تعالى:

- ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (٥٤).
- ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥٥)
- ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (٥٦)
- ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (٥٧).
- ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥٨)
- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (٥٩)
- ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا﴾ (٦٠)
- ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (٦١)

ثانياً: الابدال في الاحاديث و الاخبار:

ذكر العلماء للإبدال معاني كثيرة، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم لها معنى حسب الصفة والحالة فترى القرآن الكريم يعبر تارة بالأبدال بالتغيير شيء مادي مقابل شيء مادي، ومرة يأتي ذكرها بأمر معنوي كتغيير الطباع وغيرها، وهناك معاني سوف نتعرض لها.

وكما مر ذكر قول العلامة الطُريحي حول الابدال بقوم من الصالحين اذا مات أبدله الله تعالى بآخر، وكذلك ما ذكر في القاموس حول ذكر الابدال وقيل بأنهم قوم يقيم الله بهم الأرض و هم سبعون الى آخر ما ذكره(٦٢).

فجاء ذكر لفظة الأبدال في السنة النبوية واحاديث أهل البيت عليهم السلام في مواضع عديدة، ولكنها تشترك بأمر معين وهو أنها جاءت لمجموعة يمتازون عن غيرهم بمزايا أعلى وبمقام أرفع من الناحية الإيمانية وغيرها، ولهذا جاءت كلها بمقام الثناء والمدح وابراز مزاياهم الراقية.

منها: قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: ((وَإِنْ جَامَعْتَهَا فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ مِنَ الْأَبْدَالِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى))[٦٣].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَعا للمؤمنين و المؤمنات في كل يوم خمساً و عشرينَ مرة، نَزَعَ اللهُ الغِلَّ من صدره، وَ كَتَبَه من الأبدال إن شاء الله))[٦٤] ونجد لفظة الابدال قد استعملت في روايات عديدة منها:

الأول: ما ذكر على لسان أهل البيت عليهم السلام او بعض اصحابهم :

جاءت رواية عن الإمام الرضا عليه السلام حينما سأله سائل بأن الناس يزعمون أن في الأرض أبدالا، فمن هؤلاء الأبدال؟ فقال عليه السلام: ((إن قال: صدقوا، الأبدال الأوصياء، جعلهم الله عَزَّ و جَلَّ في الأرض بَدَلَ الأنبياء، إذ رفع الأنبياء و ختمهم محمد ﷺ))[٦٥].

وحينما تعرض العلامة المجلسي لهذه الرواية قال: ظاهر الدعاء المروي من أم داود عن الصادق عليه السلام في النصف من رجب ـ إذ قال ـ: ((اللهم صل على محمد و آل محمد، وأرحم محمدا و آل محمد، و بارك على محمد و آل محمد، كما صليت و رحمت و باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على الأوصياء و السعداء والشهداء وأئمة الهدى، اللهم صل على الأبدال و الأوتاد و السياح و العباد و المخلصين و الزهاد و أهل الجد و الاجتهاد ـ إلى آخر الدعاء ـ يدل على مغايرة الأبدال للأئمة عليهم السلام، لكن ليس بصريح فيها، فيمكن حمله على التأكيد، ثم أضاف قائلاً: و يحتمل أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام))[٦٦].

الثاني: جاءت لفظة الابدال بمعنى ممن انتسب أو يبايع أو عليه صفة بأنه من أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه: منها قول رسول الله ﷺ: ((إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء أيها الناس قطع عنكم مدة الجبارين، و ولي الأمر خير أمة محمد، فالحقوا بمكة، فيخرج النجباء من مصر و الأبدال من الشام وعصائب العراق رهبان بالليل ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام))[٦٧].

وكذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: ((يبايع القائم بين الركن و المقام ثلاثمائة و نيف عدة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، و الأبدال من أهل الشام، و الأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم))[٦٨].

ثالثاً: المؤمنون في كل زمان:

والابدال بين المؤمنين في كل زمن سنة من سنن الباري تعالى وحكمته، باعتبار أن دعوة السماء وحجته على الخلائق لابد أن تستمر جيل بعد جيل ويكون صراع الخير والشر ماثل امام الجميع لكي يختاروا ما أنطوت عليه فطرتهم ومقدار ما وصل اليهم من العلم بالتكليف والمعرفة، وعليه صار المؤمنون يتسابقون في ميدان القرب والطاعة لله تعالى ليفوزوا برضوانه وعفوه ويمنحهم فيوضاته وهذا هو الفوز الكبير.

ومن أبرز مصاديق هذه الثلة الصالحة والصفوة المختارة المتميزة هم ائمة أهل البيت عليهم السلام، ومن بعدهم أصحابهم ومن ثم خواص المؤمنين .

ويمكن القول الابدال أو كما يسمونهم الاوتاد عباد الله تعالى وهم الابرار الاتقياء، بهم تحفظ الارض ومن عليها وبواسطتهم تنعم السماء بأرزاقها على عبادها المتقين. ويمكن السؤال من هم آل أبدال، يقيناً هناك درجات ومقامات لا يمكن التطفل من مقام على مقام واعظم هذه المقامات هم رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. ويأتي بعدهم الطبقة الثانية والتي وصفها بالأبرار الاتقياء من سائر الناس وهؤلاء تم وصفهم لقربهم واخلاصهم بآل البيت عليهم السلام ومن المعلوم اقرب هؤلاء ممن كان له اتصال خاص بأحد الائمة أو في عصر الغيبة الكبرى ممن له منزلة خاص تؤهله أن يكون بهذه المزلة

نسال الباري تعالى القرب والمقاربة بيننا وبينه وبين أوليائه فهذا هو الفوز العظيم.

الخاتمة:

الحمد الله على عطائه وما أفاض علينا من نعمه، ودفع عنا الريب وخلط الفكر والاوهام، وما تؤول اليه من التبدل والتغيير قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[٧٠] بعد ذكر الآراء والآيات التي تتعلق بالأبدال والاستبدال وعلاقتها بالتغيير على مستوى الفرد والمجتمع وتصل النوبة الى الطبيعة بشكل عام، وهذا ما نجده في آيات متعددة في القرآن الكريم تجمعها عناوين متعددة ولكنها تشير وترشد الى فكرة مفادها أنَّ الله تعالى الواحد المتفرد الخالق المدبر الصانع الخبير الذي بيده شؤون الخلق والكائنات وعليه المعول في تدبير الحال والاحوال، فلا يغير الله تعالى حال الناس ولا يتبدل شأنهم الا ما يتبدل من تلقاء انفسهم وهذا بطبيعة الحال عنوان عام لكل ما أراده وأمر به الله تعالى ونهى عنه.

ورحمة الله تعالى وعطائه وفضله مرتبط بالسير على هداه ومناهجه وسلوك طرقه الموصلة الى مرضاته، وهذا ما نجده فيما أنزلها الباري تعالى على نبيه محمد ﷺ.

ومن خالفه وتعرض لنواهيه فقد جعل نفسه كريشة في مهب الريح تركله المصاعب والمشاكل وتتعثر حياته بسبب مبارزته لحكم السماء وتعمده تبديل نعمتها وابدالها بنعم رخيصة تستهويه وتغريه وما هي الا مكائد وشراك الشيطان، فبدّلوا دينَهم فكان مصيرهم زوال النعم وتبديلها بغيرها قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[٧١].

هوامش البحث

(١)- سورة الرعد: ١١.

(٢) - سورة الانفال: ٥٣.

(٣)- معلوف، لويس، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ٢٠٠١، ص٧١.

(٤)- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ط، د. ت، ج١، ص٢١٣.

(٥)- مجمع البحرين: للعلامة فخر الدين بن محمد الطريحي، ط٢، طهران، ج٥، ص٣١٩.

(٦)- خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٩١، ص١٩.

(٧) - الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، مفردات ألفاظ القرآن،، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤١٢، ص١١٢.

(٨)- زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي، الترابط بين الشعر والنثر، ص٥٠.

(٩)- الاسدي، عبد الغني جواد، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠٧.

(١٠)- انظر: محمد، خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م، ص ٢٣.

(١١)- سورة محمد: ٣٨.

(١٢)- سورة الانعام: ٧٣.

(١٣) - سورة الانبياء: ١٦.

(١٤)- سورة لقمان: ٢٠.

(١٥)- سورة البقرة: ٣٠.

(١٦)- سورة الذاريات: ٥٦.

(١٧)- سورة هود: ٦١.

(١٨)- سورة المادة: ٥٤.

(١٩)- سورة المائدة ٥٤.

(٢٠)- سورة التوبة:٣٨ – ٣٩.

(٢١)- سورة محمد: ٣٨.

(٢٢)- سور محمد: ٧.

(٢٣) - سورة طه: ٤٨.

(٢٤) - سورة التوبة: ٣٩.

(٢٥) - سورة محمد: ٣٨.

(٢٦)- سورة التوبة: ٣٩

(٢٧) - سورة محمد: ٣٨.

(٢٨)- الاصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٣٥٤.

(٢٩)- سورة البقرة: ٢٥٧.

(٣٠)- سورة محمد: ١١.

(٣١)- سورة الحج: ٧٨.

(٣٢)- سورة الجمعة: ٦.

(٣٣)- سورة الرعد: ١١.

(٣٤)- سورة المائدة: ٥١.
(٣٥)- سورة الاعراف: ٣٠.
(٣٦)- سورة الدخان: ٤١.
(٣٧)- سورة العنكبوت: ٢٥.
(٣٨)- ينظر: الاصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، ص٣٥٤.
(٣٩)- سورة البقرة: ٦٣ – ٦٤.
(٤٠)- سورة البقرة: ١٧٧.
(٤١)- سورة آل عمران: ٢٠.
(٤٢)- سورة آل عمران: ٢٣.
(٤٣)- سورة الانفال: ٢٠ – ٢٤.
(٤٤)- سورة التوبة: ٧٤.
(٤٥)- سورة الممتحنة: ٦.
(٤٦)- سورة آل عمران: ٨١ – ٨٢.
(٤٧)- سورة آل عمران: ٦١ – ٦٣.
(٤٨)- سورة المائدة: ٩١ – ٩٢.
(٤٩)- سورة النساء: ٨٩.
(٥٠)- سورة العنكبوت: ٣٩.
(٥١)- سورة الروم: ٢ – ٣.
(٥٢)- سورة القصص: ٥ – ٦.
(٥٣)- سورة الاسراء: ٤.
(٥٤)- سورة البقرة: ٦١.
(٥٥)- سورة البقرة: ٢١١.
(٥٦)- سورة النساء: ٢.
(٥٧)- سورة النساء: ٥٦.
(٥٨)- سورة الانعام: ٣٤.
(٥٩)- سورة الانعام: ١١٥.
(٦٠)- سورة الاعراف: ٩٥.
(٦١)- سورة التوبة: ٣٩.
(٦٢)- الطريحي، للعلامة فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، ط٢، ١٣٦٥ شمسية، مكتبة المرتضوي، طهران، إيران، ج٥، ص٣١٩.

(٦٣)- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، انتشارات إسلامي، ط٣، ١٤١٣، إيران، ج٣، ص٥٥٣.

(٦٤)- جعفر، اسماعيل بن موسى، الجعفريات، تح: مشتاق صالح المظفر، العتبة الحسينية، ٢٠١٣، باب فضل الدعاء للمؤمنين و المؤمنات ص ٢٢٣.

(٦٥)- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، طبعة مؤسسة الوفاء، لبنان، سنة: ١٤١٤، ج ٢٧، ص ٤٨.

(٦٦)- نفس المصدر، ج٢٧، ص٤٨.

(٦٧)- المصدر نفسه، ج ٥٢، ص٣٠٤.

(٦٨)- المصدر نفسه ج٥٢، ص٣٣٤.

(٦٩)- سورة البقرة: ٢١١.

(٧٠)- سورة الانعام: ١١٥.

(٧١)- سورة محمد: ٣٨.

قائمة المصادر

- القرآن الكريم.

١- الاسدي، عبد الغني جواد، مفهوم الجملة عند سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

٢- الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، مفردات ألفاظ القرآن،، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤١٢.

٣- جعفر، اسماعيل بن موسى، الجعفريات، تح: مشتاق صالح المظفر، العتبة الحسينية، ٢٠١٣.

٤ - خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١،١٩٩١.

٥- زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي، الترابط النصى بين الشعر والنثر نصوص الشيخ عبد الله بن على الخليلي أنموذجا دراسة تحليليه مقارنة، نشر الجامعة الاردنية، ٢٠٠٧.

٦- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، انتشارات إسلامي، ط٣، ١٤١٣، إيران. .

٧- الطريحي،فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، ط٢، ١٣٦٥ شمسية، مكتبة المرتضى، ايران .

٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، طبعة مؤسسة الوفاء، لبنان، سنة: ١٤١٤.

٩- معلوف، لويس، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ٢٠٠١ .

١٠- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت.